محمد يونس هاشم

الحرف التاسع والعشرون

قصص قصيرة

الطبعة الأولى
٢٠١١-٢٠١٢
2012-2011
الناشر
دار زهور المعرفة والبركة
٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء الجيزة

الكتـــــاب : الحرف التاسع والعشرون

المؤلـــــــف : محمد يونس هاشم

الناشـــــر : زهور المعرفة والبركة

تليفـــــون : ٠١٠٠٠٧٤١١٦٤

الطبعــــة : الأولى عام ٢٠١١

المستشار الثقافي والإعلامي : محمد يونس هاشم

مـــدير النـشر : أسامة عبدالرحمن

رقـــم الإيـــداع : ٢٠١١/١٤٢٣٢

الترقـيم الـدولي : 978-977-5172-00-6

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

هاشم، محمد يونس
الحرف التاسع والعشرون: قصص قصيرة /
محمد يونس هاشم – الجيزة: دار زهور المعرفة والبركة ، ٢٠١١
ص؛ سم
تدمك ٦ ٠٠ ٥١٧٢ ٩٧٧ ٩٧٨
١- القصص العربية القصيرة
أ- العنوان
٨١٣,٠١

الحرف التاسع والعشرون



■الليل طويل، والظلام كئيب، والبرد بليد،
حتى البندقية باردة.

وحيد يقف هو وسلاحه الميت، يراقب القِطاع، يخشى الرقيب أكثر من العدو !!

(الوقت لا يمر.. الظلام لا يمر.. البرد لا يمر.. وطعم القهر مر)

ملابسه الثقيلة لا تدفئ جسده النحيل.

" المذياع في الخدمة ممنوع، التدخين ممنوع، الغناء.... الكلام ممنوع. "

(الحمد لله أنهم لا يعلمون الغيب وإلا كانوا قد منعوا الخيال!.. الخيال إذن شيء مباح، شيء في الكبت مريح.)

رفع سليمان وجهه إلى السماء؛ يحدق في النجوم المخنوقة، ويبحث عن القمر الغائب.

عاد بالزمان القهقرى.

(بيتنا الصغير الدافئ.. أمي كانت تشرف على غطائنا في الشتاء.. تقلق في الليل أكثر من المنام؛ لتتأكد من أن النوم في أحضاننا ينام.. من أجلي كانت تترك المصباح مضاء؛ لأنها تعلم أني أخاف الظلام. رغم أن أمي كانت تحبني كل الحب إلا أنها يوم

الترحيل لم تبك !! كنت خائفاً من أن أسجن في الصحراء، من أن تسفك دمائي هباء.. كنت خائفاً من دموع أمي عند الوداع، وفوجئت بأنها تقبلني بسعادة كما قبلتني يوم النجاح، وغنت لي أغنية ما زلت أذكر معانيها.. " نذرتك لهذا اليوم يا ولدي ؛ لتحميني وتنصر بلدي " .

أمي سيدة أمية تربت في صعيد مصر، كيف لم تحزن لفراقي ؟! وهي التي كانت تبكي لو تأخرت عن ميعاد عودتي ساعة واحدة !

أمي كم أشتاق لرؤيتك !... وكم أشتاق لرؤية بسمة ! بسمة.. بسمة.. أُحس الآن أن بينهما تشابهاً كبيراً.. كيف لم أحس بهذا التشابه من قبل. أمي.. بسمة.. تشابه عجيب ليس في الشكل إنما في أشياء أهم، العجيب أني ما أحسست بمقدار حب بسمة لي إلا يوم أن رأتني بالزى العسكري.. لم أر وجهها صبوحاً باسماً بلا حزن إلا في هذا اليوم.

منذ عرفتها وحزن عميق يغلفها يخنق ضحكاتها، يميز وجهها الجميل، يستقر في عينيها الصافيتين.. بسمة حبيبتي الحزينة .

كانت أول معرفتي بها مناقشة حادة حول كلمة بل حول حرف.. حرف ليس من الحروف.... لم يكن يحس بوجودها أحد، تجلس في ركن معزول لا تكلم أحداً، وفي هذا اليوم وفي محاضرة الشعر، وبينما كنت أحلل قصيدة لشاعر معاصر فوجئت بموجة عالية تعترض المركب المنساب ؛ اضطربت فلم أكن أتوقع أن تتكلم، ولم أتوقع أن تواجهني

هذه المواجهة الحادة، حاولت أن أتماسك حتى لا تهتز صورتي ؛ تجادلنا طويلاً، ولأول مرة أسمع هذا الرأي الجديد.. رفعت صوتي، لوحت بيدي، تهكمت.. استهزأت، وفي النهاية كدت أنكشف.. أتعرى أمام الجميع لولا أن المحاضرة انتهت وفض الأستاذ النقاش.

لم أستطع أن أنظر في وجوه زملائي.. تركت المحاضرات، وهربت إلى البيت وأنا أكاد أتميز من الغيظ، أدور في البيت كعصفور حبيس، تطحن أنيابي الندم المرير.. كلامها جديد له سحر غريب.

قلبت في كل الكتب، وبحثت في شتى المعارف ؛ أبحث عن حجج أدعم بها رأيي، حجج أستر بها نفسي ؛ لأواجهها بها غداً؛ لأثأر لكرامتي.

نعم حرف " لا " ليس من حروف الهجائية العربية، وأن الشاعر قد أخطأ عندما قال : " لا تصالح " جمعت كلاماً كثيراً كان معظمه من الصحف وكلام الساسة المعروفين، لم أنم هذه الليلة.

وفي الصباح اغتسلت، ولبست أجمل ملابسي، وتطيبت، ورتبت أوراقي.. في الطريق كنت أحس نفسي، أتذكر مناقشاتي السابقة، وقدرتي على الإقناع والجدل، أتذكر إعجاب زملائي وزميلاتي بحلو كلامي، وحسن منطقي.

عندما رأيتها ارتجف قلبي، وخفت المواجهة لكن طمأنت نفسي بأني سأحدثها على انفراد، وسأحاول إقناعها بوسائل أخرى إذا عزت

الحجة، اقتربت منها، وألقيت عليها تحية الصباح بابتسامة رقيقة، ردتها دون ابتسام، وفي رقة مفرطة، وابتسامة دائمة حاولت أن أناقشها .

ومع الأيام وجدتني دائم التفكير فيها وأكره المناقشة التي تبعدها عني، ورغم تحفظها في الكلام إلا أني أحسست أنها.... ويوم تعرفت على بطاقتها الشخصية عرفت سر حزنها، وسر كلامها، فقد كانت بسمة فلسطينية .

عندما اكتشفت نفسي، واكتشفت ما حولي وجدت أن أواصر قوية تشدني إليها، أحسست أننا كنّا في رحمين شقيقين وافترقنا، وتغربنا، وأخيراً التقينا. الرحم الطاهر الذي أنجبها لوثه ماء قذر، والرحم الكبير الذي أنجبني أرهقته كثرة الإنجاب .

مع بسمة عشت أحلى أيامي، كتبت أحلى أشعاري جمعتنا الغربة، ووحدتنا الآلام.

أجلت الزواج ربما لأنها تشك في حماسي لقضية الحرف المهضوم، وإعجابي القديم بغصن الزيتون .)

بدأ الفجر يزحف نحو الحياة، وبدأت الأشياء تتضح رغم الضباب الكثيف. رأى خلف الحدود فماً كبيراً يأكل في نهم شديد لم يتبين من صنوف الطعام إلا الزيتون، أكل الزيتون كله، ونصف التفاح، وتجرع شيئاً أحمر في نشوة، وأخذ يداعب صديقته بابتذال. كانا يضحكان، وعندما رآياه اشمأزا منه، وتمتم النهم بكلمات، ولفظ

في وجهه ما كان في فمه من فتات، كان من بينها حبة زيتون عارية مغتصبة مطحونة، وبقايا تفاح دب فيه العطن. أما صديقته فقد ارتمت في حضنه بلا حياء.

تملكه إحساس بالهوان وهمّ أن ينزل سقاطة الأمان، ويرجع أجزاء البندقية، ويصوب على الفم الكبير، على الخنزير، على الحقد السافر، على الحصون المنيعة، رصاصات سريعة .

(سيقولون مجنون أطلق النار على الأصدقاء، وانتحر في الزنزانة الخواء)

عندما رأى الرقيب أنور تحول إلى قطعة ثلج .

- الساعة السادسة، انتهت خدمتك .

أخذ منه السلاح، وبدأ يعد خزينة البندقية ١... ٥... ٨... ١٤... ٢١... ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨ .

- العدد مضبوط .

تذكر الحرف المهضوم، والرصاصة الحائرة بين الدفاع والهجوم.(١)



(١) عدد خزينة البندقية ٢٩ رصاصة في حالة الهجوم، أما في حالة الدفاع فتكون ٢٨ رصاصة فقط .

في الطريق



■ ضاع وسط الزحام، وانهزم في الصراع،
ترك أرضه، وإلى أرض جديدة سافر .

ركب الأوتوبيس ؛ يأمل في الذهاب إلى أرض جديدة، إلى سماء جديدة، إلى رزق جديد. مهر الحبيبة غالٍ.. غالٍ .

الأتوبيس ينهب الأرض يبعد عن الحبيبة... آهٍ لو عاد ولم يكسب من البعاد غير العذاب.. يتحسس القروش القليلة في جيبه.. ليس معه ثمن العودة.. أخذ يتابع الطريق.. الصحراء شديدة الاتساع.. لم ير على الطريق فيها أحد سوى شرطة المرور.. كان يجلس بجوار رجل من مظهره يبدو عليه أنه موظف، لم يرفع وجهه من الجريدة، لم يترك في الجريدة كلمة إلا وقرأها... الطريق طويل، والخوف من المجهول مرعب .

(فور وصولي سأبحث أولاً عن عمل لا يهم النوم في أي مكان أنام في القاهرة لم يكن لي عمل إلا النوم عندي رصيد كبير منه)

نزل الرجل الذي كان يجلس بجواره، ظل المكان شاغراً.. الطريق طويل .

(لابد من تكملة المشوار.. الحياة كلها كفاح، ومهر الحبيبة غالٍ.. غالٍ)

من أقصى الأتوبيس جاءت فتاة وجلست بجواره، تذكر حبيبته هاجت نفسه، ارتكز برأسه على زجاج النافذة، وبدأ يغني أغنية عن الهجر والعذاب، لأول مرة يفكر في معانيها يغوص معها إلى أعماق بعيدة.. هاجت الذكريات، سكت عن الغناء مالت عليه وقالت برفق :

- لماذا سكت ؟ أكمل.. أكمل صوتك جميل، والأغنية جميلة .

لم يكن عنده رغبة في أن يبدأ حديثاً معها أو مع غيرها .

- كنت أحسب أن الصوت آتياً من المذياع، وفوجئت أنه صوتك.. لماذا توقفت ؟.. صوتك جميل .

- شكراً .

- هيا أكمل .

- ليس لدي رغبة في الغناء .

- هل قال لك أحد أن صوتك جميل ؟

- نعم .

- من ؟

- أستاذ الموسيقا في كورال الجامعة .

- في أي كلية أنت ؟ الحقوق .

... لا معهد فني... ذاهب إلى العريش... أنا أسكن هناك... لماذا السفر ؟... أنا سعيدة بهذا الكفاح المشرف .

كلامه القليل أثار فيها فضولاً كبيراً، هدوءه الشديد أثار فيها حماساً شديداً تكلمت كثيراً، وتمنت أن تعرف عنه كل شيء .

- نسيت أن أسألك عن اسمك .

- نور .

- أنا أسمي نادية .

أين تسكن ؟... لي قريبة تسكن هناك... ليس عندنا مشكلة إسكان .

سكتت لتلتقط أنفاسها، عاود النظر إلى الصحراء الواسعة المجهولة، والأحلام الواسعة المجهولة .

- لا أدري لماذا أحس أني أعرفك من زمن بعيد .

- (نفس الجملة قالتها لي سلمى في ثاني لقاء لنا)

- لذلك سأعرض عليك مشكلة... مشكلة صديقة لي تعرفت على شاب، ووعدها بالزواج، وطال الزمان على الوعد، وكثر الخطاب على الباب، رفضت، ورفضت، بدأت تقلق، طول غيابه أضعف العلاقة بينهما...

- (لقد سافرت من أجلها، تركت الأهل والأصحاب، تركت أرض المولد والطفولة والصبا والشباب، تركتها من أجلها.. سفري يجعل الخطاب يتزايدون على الباب، وطول الغياب ينسي

الأحباب... لا.. لا سلمى ليست كهذه ؛ في آخر لقاء بكت مازال منديلي معطراً بدموعها.. بركان الشوق الذي في عينيها مستحيل أن تطفئه الأيام)

- ما رأيك في المشكلة ؟

- إذا كان يحبك.. أقصد يحبها.. فلن يغيره البعاد، وإذا كانت تحبه فليس هناك مشكلة .

- هل أحببت يوما ؟

- من ؟ أنا ؟

- نعم أنت .

فاجأه السؤال .

- نعم أحببت .

- من ؟

- زميلة لي .

- ما اسمها ؟

الاسم الذي يسكن كل جسده، يسري في دمه يخشى أن يذكره أمام أحد حتى ولو كان أمام فتاة يقابلها لأول مرة، ولن يقابلها مرة ثانية..

- (لن يطرب بسماع اسمها غيري)

قفز إلى ذهنه اسمها المستعار الذي يدفع به إلحاح الأصدقاء من كثرة تريده له أحبه هو أيضا .

- اسـ... اسمها ليلى .

- اسم جميل.. أكيد جميلة كاسمها، هل تحبها ؟ أقصد هل هي... هنيئاً لها بك ؛ فأنت تستحق كل خير .

- شكراً .

المدينة البكر تفتح ذراعيها للقادمين بشوق العذارى للفارس المنتظر، يحمل سيفاً مدرجاً بدماء التنين، وفأساً مندى بعرق الجبين .

عاد يفكر في الأرض الجديدة، يخشى أن يقضي ليلته سائحاً، ويعود في الصباح بخفي حنين.

بنبرات حزينة قالت :

- لقد وصلنا.. الوقت مرَّ بسرعة، كنت أتمنى أن أجلس معك أكثر ؛ مازالت هناك موضوعات كثيرة كنت أتمنى لو تحدثنا فيها لكني واثقة من أننا سنلتقي ثانية، قلبي يحدثني بهذا، ولم يكذبني قلبي أبدا.

- أنا سعيد بهذا اللقاء لكني لا أومن بأنا سنلتقي ثانية .

- لماذا ؟

- لقد قابلت في حياتي أناساً كثيرين، ضحكنا، لعبنا، كتبنا أسماءنا على جذوع الشجر، على الرمال على الحجر، لكن تحت الأيام

الأسماء ؛ فتعلمت أننا وسط الزحام، وسط الضباب، وسط الضوضاء نتوه، وتختفي ملامحنا، ولا نسمع إلا الصراخ.

قالت بصوت متهدج كأنها تغالب البكاء :

- لكني واثقة من أني سأراك ثانية ؛ قلبي يحدثني بهذا، ولم يكذبني قلبي أبداً .

ابتسم ابتسامة صغيرة وقال :

- ربما .

- هل أستطيع أن أطلب منك شيئا ؟

- ...

- أريد أن أعرف اسم... من عاداتنا هنا في العريش أننا ندعو للإنسان باسم أمه .

سؤال غريب، دماؤه ما تزال تحتفظ بموروثات صعيدية رغم أنه من الجيل الثاني الذي ولد في العاصمة..

- اسم أمي..اسم والدتي..لـ..لـ.. صباح اسم أمي صباح .

- نور بن صباح سأدعو لك الله أن يحقق لك كل أمانيك .

تكلمت كثيراً، وبسرعة أكبر من سرعة الأتوبيس، لكن الأتوبيس توقف، سكتت، نظرت إليه تفادى نظراتها الولهة، ومدت يدها، دون أن يدري مد يده، قبضت عليها بعنف، ورقة، بإعجاب،

بحب، وكأمطار الصيف الدافئة الجملية أمطرت عيناها، لم تكن السماء تنذر بمطر، أذهلته المفاجأة، ألجمته الدموع، احمرت وجنتاه، لا يدري ماذا يقول.

مازالت ممسكة بيده بشدة، بلين .

- هل صحيح أننا لن نلتقي ثانية.. لا أصدق .

- إن شاء الله سنلتقي ثانية إن شاء الله .

وجذب يده من أحضان يدها، واختفى وسط الزحام. أخذ يبحث عن مقهى قريب ؛ يدله على عمل سريع. مهر الحبيبة غال.. غال، والسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، والأرض غابة وعرة.

عيناها مازالتا معلقتين به تسيران وراءه حيث يسير، تتمنى لو التفت للوراء ؛ ليراها، يدها متحفزة للإشارة فور التفاتته .

على مقهى قريب جلس أشار بيده لعامل المقهى ؛ قفز قلبها وهمت أن تشير.. تلوح تذكرت أنه لم ينظر للوراء، ولم يرها جرت قدميها كسيرة القلب.. ضحية الأمل، واليأس، أمل أمل يأس، أمل يأس، أمل يأس يأس .

تذكرت أنها لابد أن تعود إلى بيتها بسرعة فالشمس بدأت تودع الحياة، وتريد أن تستريح من عناء النهار .



النهاية



■ جلس في الشرفة المطلة على الأرض الفضاء كانت الشمس حارقة، والهواء ملتهب، لكنه لم يغادر المكان، ولم يدر وجهه عن الشمس ! بل استسلم لها، وتركها تلفح وجهه، ترك السهام النارية تحرق جسده، تشعل شعره ؛ تصبب عرقه، وجف حلقه، كأنه يستعذب الألم، لم يكن ساديًا بل .

(غبيًا، مجنونًا، أي شيء، أي شيء)

بدأت الشمس تلملم رداءها، وتتأهب للرحيل، نظر في ساعته .

(الخامسة إلا ربع مازال الأمل باقيًا ربما.. مستحيل.. مستحيل أن تعود، لو عادت لصارت فتاة أخرى غير التي عرفتها، غير التي في مرضها لم تنطق إلا باسمي، وألقت برأسها على صدري ، واحتمت بي، وأنا الذي.. آه..آه.)

نظر في ساعته .

(الخامسة إلا دقيقتين..إلا دقيقة.. الخامسة)

انقبض قلبه، وتحشرجت أنفاسه، وكاد يسقط من فوق الكرسي.

(مات الأمل. أنا أستحق هذا ؛ أنا الذي جنيت على نفسي، لا ذنب لأحد فيما وصلت إليه، حتى أبي الذي رفض الزواج لا ذنب له،

أنا السبب ؛ الجسد القذر لا يستحق القلب الطاهر، الدماء النقية وجدت شرايين مسدودة ؛ أنا أستحق الموت ! ما كان أشقى قلب ملاك في جسد شيطان)

القرص الأحمر يختفي وراء الجبل الأسود، والشمس تترك أشعتها الضعيفة ؛ ليسحقها الظلام، تبددت الأشعة، وانطفأت، وأظلم المكان إلا من قطعة من الجمر .

(ربما تغفر هذه المرة..كم مرة غفرت !..غفرت ذنوباً أكبر، كأنها تحالفت مع أبي، تحالف أحب الناس على قتلي ؛ الأب الذي لم يحرمني من شيء طوال حياتي، ولم يطالبني بشيء، في هذه المرة طلب مني أن أنسى أهم شيء !! كان أول طلب، وأقسى طلب، لو سلبني كل ما أعطاني في مقابل هذا الطلب ما ترددت في القبول)

بدأ البرد يشتد ؛ اقشعر جلده، انتفض، لكنه لم يتدثر بثيابه، ولم ينكمش في نفسه !

(لن ألوم أحداً أنا الذي أخطأت، هذه نتيجة عادلة، ليتني أستطيع تحمل ما جنت يدي، ليتني أنسى أن من غمروني بحبهم ضنوا عليّ فجأة بنقطة حنان !! سأجدد حياتي، سأهجر عقوقي، ومراهقاتي، سأتقيأ الخمور التي احتسيتها، وأنام بعد العشاء.. حتى لو فعلت ذلك فلن تعود الطائرة، ولن تعود.. الموت هو دوائي، الموت هو راحتي الأبدية !..عجيبة هذه الدنيا أنا الذي أفكر في

الانتحار كنت أكثر الناس حرصاً على الحياة ، الانتحار.. الانتحار، لكن أبي الذي عاش من أجلي هل يسعده موتي من أجله ؟ لا..لا، كفاه ما فعلته به.. ياااه حتى الانتحار لا أستطيع أن أتجرع كأسه ! أريد أن أصنع شيئاً جميلاً، أريد أن أكفر عن ذنوبي.. لا الموت يكفِّر، ولا الحياة تكفِّر !!

زم شفتيه، وأخذت أنفاسه تتوالى في اضطراب، وبدأ الصداع يحطم رأسه، ورغم البرد أحس باختناق، قام بسرعة ، وخرج بسرعة، سار في طرقات كثيرة يعرفها، وتنكره، بعد عن البيت، بدأت الكلاب تتبعه، جرى ؛ جرت، أسرع ؛ أسرعت، تعثر في الأحجار ؛ دميت قدماه، لا يستطيع الوقوف ؛ فالكلاب تلاحقه، ولا يستطيع الجري فالتعب يلاحقه، بدأ يصرخ فلم يجبه أحد، تعبت قدماه، وكَلَّ جسده، وهربت أنفاسه ؛ رمى بنفسه على الأرض، وظن أن الكلاب لن تراه، التفت الكلاب حوله، وكشرت عن أنيابها، بدأت تتقدم شيئاً فشيئاً، وهو يريد أن يصرخ، ويخشى الصراخ، يريد أن يسكت ويخشى السكات، وفي هذا المكان المهجور مات، كل شيء فيه مات، لم يغسل، لم يكفن، لم يطهره الممات .



حوار خلف جدار الصمت



■ عند باب الشقة حملها على ذراعيه .

- (عمل روتيني لابد منه حتى لا يكون هناك شيء من لوازم الزواج لم أصنعه)

- (أحس بكآبة شديدة كأني محمولة إلى قبري.. ليس لي أن أقاوم فهو زوجي الذي دفع مهري.. اللهم أسألك الصبر على البلاء)

وضعها برفق على السرير .

- (عليَّ الآن أن ألاطفها، وأن أكون في غاية الرقة حتى لا تخاف وتنتهي الليلة بسلام.. مازلت نصائح الأصدقاء تملأ رأسي.. لم يكن لي موضوع منذ عدة سنوات إلا حول هذه الليلة.. كان الحديث في هذا الموضوع هو أغنيتي إلي تدفعني لمواصلة العمل)

- (الذئب الجائع يستعد لافتراسي.. يا رب ماذا أصنع ؟)

بكت بدموع غزيرة .

- (هي خائفة ؛ شيء طبيعي أعرفه مسبقاً، كلهن هكذا لكن دموعها لا يجب أن تثنيني عن عزمي ؛ فماذا أقول للأصدقاء في الصباح ؟!.. أقول لهم : أن فارسكم المغوار ظل طول الليل يمسح الدموع بدلاً من اقتحام الحصون، وسفك الدماء، وشرب الخمر.. آه بمناسبة الخمر فقد حان وقتها، سأتركها تبدل ثيابها.. أقصد تخلعها، وأذهب لأحتسي من الخمر ما يدب فيَّ الحمية والإقدام)

خرج وقد رسم ابتسامة لا معنى لها .

- (إلى أين هو ذاهب ؟ ! أكيد ذاهب إلى الخمر.. هذه هي عادتهم القبيحة في هذه الليلة المشئومة ،والمفروض أن يعود ليجدني في كامل زينتي لاستقبال الفارس الهمام.. يا للنذالة ! إلى هذا الحد الإنسان بشع، حيوان. ما الفرق بين هذا الرجل المحسوب على الآدميين وبين ذئب في غابة.. أنَّى لي بساقي غزالة لكن المأساة أنى امرأة إنسانة لا استطيع الجري ولا الهرب، أهلي ينتظرون خلف الباب.. أهلي هم الذين حملوني إليه !!)

احتسى من الخمر عدة أقداح ؛ لعبت الخمر برأسه، عاد يشتهي الدماء .

- (ستكون ليلة يتحاكى بها الأصدقاء ؛ سأصنع ما لم يصنعه أحد قبلي سأجلس غداً بينهم، وأصف لهم المعركة كاملة بكل تفاصيلها فأنا الفارس الهمام)

نظر إليها نظرات جائعة شرهة، يحدق فيها يريد أن يبتلعها بعينيه.. مازالت مكورة في مكانها كمن ينتظر حكم الإعدام .

همَّ أن يجهز عليها ؛ بكت.. توسلت إليه أن يتركها الآن ؛ أفاق من الخمر.. فَقَدَ جرأته، وعلى كرسي قريب جلس .

(وماذا بعد ؟ إن جرأتي تخور شيئا فشيئا.. أخشى الهزيمة في يوم الانتصار.. هذا هو اليوم الذي انتظرته طويلاً.. انتظرته ثلاثين

عاماً.. ثلاثون عاماً وأنا أحلم بهذا اليوم.. ثلاثون عاماً تغير فيها الحلم ولكن ما تغير اليوم.. في البداية كنت أحلم أن أجلس أنا وليلى حبيبتي في الشرفة الكبيرة التي يلفها الليل المؤنس ذي الغلالة الرقيقة نجلس بين الأزهار والورود والرياحين، نسمع الأغاني الحالمة، لم أكن أفكر في شيء مما أفكر فيه الآن على الإطلاق، ومرت الأيام، وضاعت ليلى، وضاع الحلم القديم، وضاع الحب والأغاني الهادئة الحالمة، لكي أحيا لم يكن أمامي إلا طريق واحد، طريق واحد فقط، وأردت الحياة، نسيت الأحلام، ونسيت الورق والأقلام، وسافرت أعمل أي شيء.. أي شيء.. كل الناس تتزوج لذا فكرت في الزواج.. فتاة جميلة ومؤدبة.. لا بأس بعد ليلى كل النساء سواء)

- (يا رب اهد قلبه.. سكّنْ ثورته.. اجعله يلغي كل ما في رأسه أو يؤجله.. هل لو كان عادل مكانه الآن كان سيفعل ما فعل هذا.. يحتسي الخمر ويحاول أن يفترسني)

وطفقت تبكي .

- (لماذا تبكي ؟ وفيم تفكر ؟)

- (عادل ترى ما حالتك الآن ؟ أكيد على وشك الجنون.. عادل لا يستحق مني هذا.. عادل إنسان رقيق كالنسمة.. طاهر كقطرة الندى.. لا كهذا الذئب الآدمي)

نظر إليها وهي غارقة في دموعها، وقد اختلطت الأصباغ التي كانت تزين وجهها .

- (هل تحبين شخصاً آخر ؟ تكلمي، لا تتصوري أني معدوم الإحساس.. لقد أحببت يوماً، ووقفت نفس الموقف الذي يقفه حبيبك الآن، وبكيت، وكدت ألقي بنفسي في البحر لولا الأصدقاء لا تحسبي أني ولدت هكذا مصاص دماء، أنا مثلك تخرجت في الجامعة، وكانت لي أحلام، وآمال سحقتها الأيام، أصبحت هكذا حرفياً كبقية الحرفيين لا يفرقهم عني شيء.. أفكر مثلهم.. وأتكلم لغتهم.. في البداية حاولت أن أحتفظ لنفسي باستقلالها.. قلت إن هذه الحال طارئة.. استثنائية.. لكني اكتشفت بعد ذلك أن الرجوع مستحيل.. أنا أعذرك لأني كنت يوماً مثلك، وحبيبك بعد ثماني سنوات سيكون مثلي.)

- (عادل إنسان مختلف، عادل مثقف، وله طموحاته، سيعمل محامياً يدافع عن المظلومين، عادل ليس متخلفاً كالآخرين.. لا أدري كيف يرضى هذا الرجل على نفسه أن يكون هذا الشيء البشع!)

- (لن ألومك إنما في يوم من الأيام كان معظم وقتي أقضيه في المكتبة، وأغلب كلامي نقاشاً وجدالاً حول قضايا اجتماعية وسياسية، في يوم من الأيام حلمت أن أكون باحثاً كيميائيّاً يحول المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة لكنها الأيام)

- (لا تلق باللوم على الأيام، الأيام لا تُكره أحداً على صنع شيء لا يريده " نعيب زمننا والعيب فينا ")

- (بعد تخرجي ظللت عامين كـاملين ٧٣١ يومـا - لأن إحـداهما كانت كبيسة – أحس أني كَمٌّ مهمل، شيء من أثاث المنزل حتـى أثـاث المنزل له فائدة. تحركت ،، جريت. حاولت.. لكن كنت كالعـصفور في القفص، لا تزيـده الحركـة إلا يأسـاً ولا يزيـده الطـيران إلا اصـطداماً. الـشهادة الجامعيـة، والثقافـة لم يـستطيعا أن يحطـا القطبـان، وأخـيراً خضعت للواقع، مزقت الشهادة وأمسكت بالمعول وهـشمت القفـص وطرت، ولو لم أفعل هذا لظللت حبيس القفص حتى الآن)

هدأت العروس.. كفت عن البكاء.. وغلبهـا النعـاس .. ونـام هو على الكرسي .

في الصباح استيقظ فتح الـشبابيك، دخلـت عـصفورة صـغيرة جميلة جائعة تبحث عن الأمان طارت، وعلى طعام العروسين حطت تلتقط حبات الأرز.. دنا سمير برفق مـن زوجتـه عبـث بخـصلات شـعرها حـاول أن يجفـف دموعهـا.. اسـتيقظت، ابتـسم ابتـسامة ودودة.. أشار لها إلى العصفورة.. أخذا يلاحظانها وهما يبتسمان، قـام بهدوء وأغلق الشبابيك وهجم على العصفورة، طارت، فزعت أخذ يطاردها لم يستطع الإمساك بهـا وعروسـه تنهـره عـلى ذلـك.. هـده التعب، جلس نظر إلى زوجته نظرة حانية وابتسم، مد يده برفق وبهـا بعض حبات العنب طارت العصفورة الـصغيرة وحطـت عـلى يـده فتح كل الشبابيك لكنها لم تخرج.



العالم الثالث



■ اتصل بي رئيس التحرير، وكلفني بالسفر لأغطي حادث الانقلاب العسكري الذي حدث في بلد صديق. وطلب مني سرعة الاستعداد للسفر باكر لتغطية الموقف هناك. لا أخفي عليكم أني سعدت بهذا الخبر لأني كنت أكره سياسة هذا البلد القائمة على الفساد والاستبداد. ويبدو أن الشعب أدرك هذه الحقيقة مؤخراً .

بسرعة حاولت جمع أكبر قدر من المعلومات عن هذا البلد قبل السفر، أول شيء أخرجت أطلس وبحثت عن موقعها، ولاحظت أن هذا البلد له موقع ممتاز بين قارات العالم، ولها حدود على بحر كبير، وبها أنهار عذبة، ومساحتها كبيرة نسبياً .

لكن هذه المعلومات ليست كافية لابد أن أعمل تحقيقاً صحفياً كبيراً .

سألت أخي الأصغر عن كتاب جغرافيا يتحدث عن هذا البلد فقال: إنه عند جارنا خالد، أتيت به وعرفت أن عدد السكان ليس كبيراً إذا قيس بمساحتها، كما عرفت أنها تصدر المواد الخام من الثروات المعدنية والبترول، بحثت في الموسوعة الثقافية عن هذا البلد، والحمد الله وجدته، وعرفت أنها دولة ملكية ووقعت تحت

الاحتلال عدة مرات، وأخيراً استقر الحكم فيها بسبب ملك عادل شجاع مقدام نهض بها نهضة اقتصادية وعلمية كبيرة، تربط بلدنا بهذا البلد علاقات اقتصادية كبيرة، وزار ملكها بلدنا عدة مرات، وحصل على الدكتوراه الفخرية من أكبر جامعاتنا، ولمعرفة المزيد عن هذا البلد بحثت عن كتاب يتحدث عنه، أخيراً وجدت كتيباً صغيراً، عرفت منه أن هذا البلد أنجب علماء، وفلاسفة، وكان لها حضارة قديمة زاهرة، ولكن الأيام دول، هذا يكفي .

في الساعات الأولى من الصباح كنت على متن أول طائرة مسافرة إلى هناك، قررت أن أبدأ عملي مباشرة نزلت من الطائرة بدأت أسأل العمال، والموظفين من أبناء البلد عما حدث بالتفصيل، وعن ردود أفعالهم، وآرائهم فيما حدث، لم تزد إجابتهم عن جملة واحدة " الجيش قام بثورة " كان الناس في ريبة مما يجري يخافون أن يتورطوا في كلام يندمون عليه بعد ذلك لذا لزموا الصمت، والإجابات المقتضبة التي لا تشفي غليل .

لكنهم فور سماعهم لبيان مجلس قيادة الانقلاب، وتأكدهم من خلع الملك السابق، وتولي قادة الانقلاب الحكم، راحوا يمزقون صور الملك القديم، ويحطمون تماثيله، ويضربونها بالنِّعال، تلك النعال التي كانوا يخلعونها وهم في محرابها !! وأصبح لا حديث لهم إلا عن مفاسد الملك السابق، وانحرافاته، وظلمه، ونزواته، وعلى

الفور طبعت ملايين من صور قائد الانقلاب بأحجام كبيرة وكتب تحتها عبارة التأييد والمباركة، لقد ربحت أول مطبعة سارعت بطبع صورة الحاكم الجديد بنصيب الأسد من الأرباح كذلك حققت الجرائد أرقاماً خرافية في التوزيع، اشتريت كل الجرائد.. كلها تتكلم عن سقوط الطاغية، وزوال الحكم الرجعي المتعفن، وصوراً بالحجم الكبير لقائد الانقلاب، كما أفردت الصحف مساحات كبيرة تتحدث عن تاريخ قائد الانقلاب بإسهاب، وكيف أنه رغم الحكم المستبد الفساد والمستشري استطاع وهو الفقير المعدم الالتحاق بالجيش والترقي فيه بفضل كفاءته .

نزلت بفندق مناسب في أحد الأحياء الشعبية، لاحظت أن بعض الناس تبكي الملك المخلوع خفية، وآخرون ينتقدونه بعنف، أما الأكثرية فكانوا يتحدثون عن أعمالهم، وعن تأثير هذه الأحداث عليها، فالبقال يخاف أن تشح السلع، وبائع الأقمشة يخشى على بضاعته الكساد لو غير الحاكم الجديد الزي الرسمي للبلاد، وكذلك الحدادين والنجارين وأصحاب المهن المختلفة كل يخشى على عمله من التأثير السلبي للانقلاب، وبعضهم راح يفكر كيف يغير نشاطه السابق المرتبط

بالنظام الملكي البائد، أما عامة الناس فكان لا حديث لها إلا عن تخوفهم من اختفاء السلع من الأسواق، وارتفاع أسعارها.

بالصدفة وجدت في حجرتي بالفندق بعض الصحف والمجلات القديمة، كانت " مانشتاتها " الرئيسية تتحدث عن لقاءات الملك بملوك ورؤساء الدول الشقيقة والصديقة، واتفاقات الصداقة والشراكة، وصفقات السلاح، والمنجزات التي تحققت في عصره في التعليم والصحة والديمقراطية و... واستعداد المطربين والمطربات لإحياء العيد القومي للبلاد، وهو يوم تتويج الملك حاكماً أبدياً على البلاد.

استمعت باهتمام بالغ إلى خطاب الحاكم الجديد، كان صوته جَهْوَرِيّاً، وهو يعدد مفاسد الحكم السابق، والسياسة المدمرة التي كانت متبعة، ويَعِد بتغيير شامل لكل النظام، وبإصلاح لكل فساد، فسيقضي على الإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم، ويُعِدُّ جيشاً قوياً قادراً على ردع أعداء الوطن، ويقيم حكما ديمقراطياً جمهورياً برلمانياً، يُمكِّن الشعب من اختيار من يمثله عن طريق انتخابات حرة نزيهة، تسمح بتداول السلطة سلمياً. وأكد على أن الحكم العسكري لن يستمر طويلاً إنما هو مرحلة انتقالية ريثما تستقر الأوضاع ويختار

الشعب من يمثله، أما بقية الخطبة الطويلة فكانت عن سياسته الاقتصادية التي تعتمد على توزيع عادل للثروة والقضاء على رأس المال المستغل، والقضاء على البطالة، والعمل على زيادة المرتبات، وتوفير السلع الأساسية بأرخص الأسعار .

لم يفهم كثير من الأفراد الشعب معنى جمهورية برلمانية، ولا تداول السلطة سلمياً، ولا القضاء على الإقطاع وسيطرة رأس المال، لم يفهموا سوى زيادة المرتبات، وتوفير السلع بأرخص الأسعار، صاحب المقهى الذي استمعت فيه للخطاب أخذ يشرح لجمهور المقهى بعض ما غمض عليهم من كلام الحاكم الجديد، قال لهم في زهو من يعلم كل شيء : " الجمهورية البرلمانية " معناها أن يطلق على الحاكم لقب رئيس بدلاً من ملك، أما " التداول السلمي للسلطة " فمعناه أن رجال السلطة سوف يرفضون السلام مع إسرائيل. و" التوزيع العادل للثروة " معناه أن هذه الثورة ستحكم بالعدل عكس الملك الظالم. أما " القضاء على الإقطاع وتحكم رأس المال " فمعناه القضاء على قُطَّاع الطُرق الذين يأخذون أموال الناس غصباً. وهكذا راح صاحب المقهى يشرح لزبائنه خطبة الحاكم والزبائن مبهورة بثقافة المعلم صاحب المقهى انبهارها بالحاكم صاحب البلد.

لم يكد يمر على الانقلاب عام حتى كان الرئيس الجديد قد قضى على أعداء الثورة ممن أسماهم أتباع وعملاء النظام البائد وزج بهم جميعاً في السجن بعد محاكمة عسكرية ترأسها أحد قادة الانقلاب، بعدما أقال الوزارة والمحافظين، وترأس وزارة جميع أعضائها من العسكر، ووزع المناصب على أتباعه كل على حسب ولائه وإخلاصه، ثم حل جميع الأحزاب والتنظيمات وصادر أموالها، كما حل مجلس الأمة المنتخب، وعين أعضاء المجلس الجديد، ثم راح بعد ذلك يتخلص من شركائه في الانقلاب واحداً واحداً، كما راح يتخلص من كل من يفكر مجرد تفكير في مناقشته فضلاً عن الاعتراض عليه .

لا أدري لماذا أتذكر هذا الانقلاب العسكري الذي شاهدته منذ نحو أربعين عاماً أثر سماعي بحدوث انقلاب عسكري مماثل في إحدى دول بلاد العالم الثالث، كما أني أتذكر كم كنت شاباً ساذجاً عندما صدقت شعارات قائد الانقلاب الأول، فقد اكتشفت بعد تجربة طويلة من العمل في الصحافة، وتعاطي السياسة أن كل الانقلابات العسكرية، واحدة في شعاراتها، وواحدة في ممارساتها فكلها تبدأ في رفع شعارات الإصلاح، والثورة المباركة، والجيش القوي لقمع الأعداء، والتوزيع العادل للثروة، والتداول السلمي

للسلطة، والجهورية البرلمانية، والوقوف بجانب الشعب المطحون، وبعد أن يصلوا لسدة الحكم يصير الإصلاح فساداً، وتتلون الثورة البيضاء باللون الأحمر الدموي، ويصير الجيش أداة لقمع أعداء الثورة، ويتحول شعار التداول السلمي للسلطة إلى الاستئثار بها حتى الموت، ويتحول شعار الجمهورية البرلمانية التي تحتكم إلى الشعب في اختيار من يحكمه عن طريق الاقتراع السري المباشر، إلى الاحتكام إلى القوة في التحكم في الشعب عن طريق التزوير العلني المباشر، وبدلا من الوقوف، بجانب الشعب يصير الوقف على رقاب الشعب.



أصل الحكاية



■ حادثة كبيرة هزت المجتمع كله بدأت القصة بخبر صغير في صفحة الحوادث ثم ما لبثت أن ذاعت وتناولتها كل الأقلام، ورددتها كل الشفاه إنها حكاية خط الصعيد الجديد عنتر .

سأل صبي أباه عن حكاية عنتر التي يتحدث عنها الناس، الحكاية أكبر من أن يحكيها له في كلمة ونصف، الحكاية لها جذور نسيها كثير من الناس والباقون تناسوها .

في المساء كان الأب يقرأ في جريدة عندما جاء ابنه الصغير يسأله عن حكاية عنتر خط الصعيد. طوى الأب الجريدة، وطلب من ابنه الجلوس، وبدأ يحكي له القصة :

سأحكي لك الحكاية ربما اقتنعت بوجهة نظري التي ينكرها عليَّ كثيرون، يا بني كان جابر رجلاً فقيراً يعمل راعياً للغنم، ويسكن في بيت صغير في مدينة الأقصر، تزوج جابر ابنة عم له ورزقه الله منها بنتاً، ولم يطل العمر به فمات في سن صغيرة، ولحقت به زوجته بعد فترة قصيرة، عاشت سعاد وحيدة في بيتها الصغير فقد هرب الأقارب من نفقتها، وعملت برعي الأغنام مهنة أبيها حتى تعيش .

ذات يوم زارها خبير آثار أجنبي، وعرض عليها صفقة العمر يحصل بموجبها على حق التنقيب عن الآثار في بيتها نظير الحصول على

حصة مما يجده من كنوز، واضطرت سعاد إلى الموافقة فهو رجل خبير في هذا المجال، ويعرف كيف ينقب عن مثل هذه الكنوز وكيف يسوّقها.

كشفت أعمال الحفر والتنقيب عن وجود عدة مقابر قديمة بها كنوز أثرية لا تقدر بمال، ومن يومها تغير حال سعاد من الفقر المدقع إلى الغنى الفاحش. غيرت جلبابها الوحيد وبدأت تتردد على محال الملابس المحلية والعالمية، كانت في الصيف تجلس على سطح البيت، أما الآن فهي تقضي الصيف في الإسكندرية، وأحيانا في إحدى الدول الأوربية، كانت في الشتاء تنكمش في زاوية من زوايا بيتها الطيني، أصبحت تجلس أمام التليفزيون مدثرة بالفراء في بيتها المكيف والمفروش بأحدث أنواع الأثاث وأغلاها، كانت تسوق الأغنام، وأضحت تقود عربة فارهة تشق بها جموع الأطفال العرايا الجياع الذين تمتلئ بهم الطرقات، لم تفكر يوماً في المساهمة ولو بقسط صغير مما فاء الله عليها به من غنى في كساء هذه الأجساد العارية أو إطعام هذه الأفواه الجائعة !

عنتر فتوة قديم يجاور سعاد في السكن، ورغم أن عنتر قد أصاب مما أصاب المنطقة من ثراء إلا أنه بدد هذه الثروات في الإنفاق على زعامته .

ذات يوم شعر عنتر بالجوع، وإذا برائحة الشواء تنبعث من بيت سعاد، عنتر لم يستطع أن يسد أنفه، ولم يستطع أن يُسكت صوت

أمعائه، قرر عنتر أن يسطو على بيت جارته، حمل أسلحة السطو وسعى إليها بعد منتصف الليل فوجئ عنتر بخلو البيت من الحراس، وخلو الباب من التِّرْباس، وفي غدر دخل عنتر، لم يعترضه شيء، لم يسمع حتى نباح كلب .

كانت سعاد تنام في إغراء على سرير من ذهب، عندما رآها عنتر عقله ذهب، كانت ما تزال عذراء، وبعد أن أكل بعض ما وجد وسكت صوت الأمعاء، لم يخرج بل قرر أن يفعل كل الأشياء، صرخت.. استيقظ الناس مذعورين على صوت الصراخ، ولما علموا أن الصراخ يأتي من عند الغنية الشحيحة ناموا ما عدا جارها الشيخ عمران فقد خشي على نفسه من عنتر

في الصباح اجتمع أهل المنطقة للنظر في هذه الأزمة، قال خبير الآثار عنتر غادر جبان ولابد من دق عنقه، واتفق مع الشيخ عمران الذي سارع فور وقوع الحادث بالاتصال به طالباً حمايته، وواضعاً كل ثروته في خدمته، اتفق الاثنان على القضاء على عنتر .

أحس أهل المنطقة الفقراء أن ثور جحا سيأكل منه، فقام كبيرهم يخطب عن العدل، وحقوق الجوار، وأقوال أخرى مما يقال في هذا المقام، وقام على الفور فأرسل بعض أبنائه إلى بيت الشيخ عمران لينضموا إلى الحلفاء، وبعد ذلك تكاثرت الأيدي على قصعة الشيخ عمران .

ضرب الحصار على عنتر، ومع ذلك أصرَّ على عدم التسليم، وزعم أن عنده القدرة على حرق المنطقة كلها، والقضاء على جميع الأعداء .

الخبير الأجنبي كان مُصِراً على اقتحام بيت سعاد، وأكد أن المعركة لن تستمر أكثر من خمس دقائق .

عجائز القرية يبكون فالحرب خراب ودمار على المنطقة بأسرها، أما فقراء فيكتفون بالثرثرة حول هذه الحادثة، أما حكيم القرية فلم يستشر في هذه المسألة، الشيوخ كانوا يدعون ليل نهار بدعاء واحد " اللهم اضرب الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بين أيديهم سالمين " .

شاعر الربابة بدأ ينظم ملحمة جديدة عن عنتر البطل الذي تحدى العالمين .

نام الصبي على حجر أبيه، فسكت أبوه عن الكلام غير المباح، وحمل ابنه وأرقده على سريره، وعاد يقرأ في الجريدة .



ماذا أقول لهم ؟



(١)

■ في حجرة صغيرة في حارة ضيقة ولدت.
وتحت السرير نمت بجوار اخوتي
الخمسة، كانت الحصير باردة جداً في
الشتاء، واكاد لا اجد الهواء في
الصيف، في الصباح اجري حافياً في
حوار مترب العب بالمهملات، بعد
الظهر اعود ابحث في الأواني القذرة عن
شيء يؤكل.

أبي يعود بعد العشاء حاملاً صفاً من الخبز، تتكاثر الأيدي على الإناء الواحد، لا أكاد أفرغ من الطعام حتى أجري ؛ لأحتل مكاناً متميزاً تحت السرير ذي الأعمدة الحديدية.

(٢)

في المدرسة لاحظت أن زميلتي حنان التي تجلس أمامي ملابسها نظيفة، وشعرها طويل وجميل، وكنت أرى رائف صديقي يذهب إلى مقصف المدرسة ويشرب الكولا المثلجة، كنت أسمع زملائي يتحدثون عن " التليفزيون " وبرامجه ومسلسلاته وأفلامه كنت أحس بالخجل، أتركهم وأمارس رياضتي المفضلة وهي ركل الأحجار الصغيرة. سألت أمي لماذا لا يشتري لنا أبي " تليفزيون

" ؟ ردت على الفور " لما يكفيكم عيش أولاً " لم أكـن أحـب أمـي كانت تضربني كثيراً بسبب كثرة طلباتي، وعدم محافظتي على ملابسي نظيفة حتى نهاية الأسبوع، أما أبي فقد كنت لا أراه إلا وهو عائد بعد المغرب حاملاً صفاً من الخبز، عندما كنت أراه أكتم أنفـاسي وأبقـى في مكاني لا أبرحه فهو متجهم أبداً لم أر أبي يبتـسم ولم أسـمع أبي إلا متبرماً حانقاً على " العيشة والذين يعيشونها " بعد العَشاء ينبعـث غطيط أبي، وتطفىء أمي مصباح الكيروسين، أحياناً أسـمع أبي وهـو يصلي الفجر يقول " اللهم صل على محمد البـدر، اللهـم صـل عـلى محمد البدر، نويت أصلي صلاة الفجر " كان صوته عالياً في الـصلاة يقرأ الفاتحة وسورة قصيرة لا يغيرها أبداً .

(٣)

في المدرسة تعلمت كيفية الوضوء والصلاة، وبدأت أصلي كنت الوحيد من بين أخوتي الذي يـصلي بـصفة دائمـة فـرح أبي بـصلاتي، لكن عندما جاء الشتاء وتشققت يداي من الماء البارد، وبدأت أسعل نهرني أبي، وأمرني بالكف عن الصلاة، لكنـي لم أكـف عـن الـصلاة، كنت أصلي حيث لا يراني أبي، واشـتريت مـسبحة كنـت أخفيهـا في جيبي ولا أظهرها إلا وقت الصلاة، بدأت أتردد على المساجد أصـلي الظهر في مسجد الشيخ سعد الدين، والعـصر في مـسجد الماوردي،

والمغرب في زاوية الشيخ سلامة، كان يعجبني صوت الحاج كامل وهو يقرأ القرآن .

(٤)

عندما كبرت تمنيت أن أكون طبيباً يرتدي البذلة، ويسكن في عمارة كبيرة، ويركب سيارة فاخرة، ورغم أني كنت لا أجد المكان الذي أذاكر فيه، ورغم إصرار أمي على إطفاء المصباح بعد العشاء إلا أني كنت متفوقاً في دراستي، ومثار حسد كثير من زملائي .

(٥)

بعد صلاة المغرب اقترب مني شاب ملتح يرتدي جلباباً أبيض، وبعد أن أثنى على خلقي والتزامي دعاني لجلسة كان يعقدها في زاوية الأرقم، عندما ذهبت وجدت فتية كثيرين في مثل سني .

علمني هذا الأخ الكريم أحكام التجويد، وحفظت على يديه جزء عم، وتبارك، كما حفظت التاريخ المجيد للإخوان المسلمين، وبقدر ما أحببت الشهداء حسن البنا، وعبد القادر عودة، وسيد قطب، كرهت الطغاة عبد الناصر، شمس بدران، حمزة البسيوني .

كان كل أقاربي يحبون عبد الناصر لأنه صعيدي مثلهم، وكان أبي لا يعرف من العظماء غيره، ودارت بيني وبينهم مناقشات حادة كنت أرميهم في آخرها بالجهل، وأحيانا بالكفر، عبد الناصر هو هذا

الشيطان الذي عذب الإخوان، ورمى بهم في غياهب المعتقلات حيث الجلد بالسياط، والحرق بالنار، والتعذيب بالكلاب البوليسية المفترسة، وهتك الأعراض، و.... اللعنة على عبد الناصر، وعلى كل من يذكره بخير .

(٦)

أحببت اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ؛ لذا التحقت بكلية الآداب لأعمق دراستي للغة القرآن الكريم، و للدراسات الإسلامية .

في العام الأول هالني ما كنت أرى من أزياء فتيات الجامعة، القصير، والضيق، والشفاف، وهالني أكثر فساد أخلاقهن، الضحكات الفاجرة، والنكات الداعرة، الحركات المتكسرة، والصداقات العابثة ؛ ظللت حتى نصف العام لا أكلم أحداً ولا أنظر إلا إلى الأرض، ولا أدخل في نقاش إلا وينتهي بمشاجرة

صدمت بالشعر عندما درست معلقة امرئ القيس، وناقشت الأستاذ مناقشة حادة حول الغزل الصريح رماني في آخرها بالجهل، ورميته في سري بالكفر .

شيئاً فشيئاً كثر اهتمامي بالدراسة، وقل اهتمامي بالجماعة، قررت أن أكون أستاذاً في الكلية لأغير الأوضاع الشاذة التي رأيتها .

(٧)

في العام الثاني درس لي أستاذ الأدب علم التفسير بطريقة تتناقض مع ما درست في الجماعة، قال إن القرآن نص أدبي كبقية النصوص، ويطبق عليه ما يطبق على بقية النصوص من نقد ؛ حملت هذا الكفر الصراح وذهبت إلى رئيس القسم ؛ فابتسم وقال بهدوء :

- إنك الآن في الجامعة حيث الفكر الحر، والآراء المستنيرة، د ما في رأسك من خرافات، وأوهام أخرتنا مئات السنين، يابني يمم وجهك إلى الغرب فهو قبلة الحقيقة المطلقة .

صدمتي في رئيس القسم كانت أفدح. ذهبت إلى شيخ من الشيوخ الكبار الذين أثق في دينهم ؛ ونشبت حرب كلامية على صفحات الجرائد تشيب لهولها الولدان حتى جاءت مباريات كأس العالم فأوقفت الحرب وفصلت بين القوات ؛ كدت أموت كمداً يومها .

فوجئت بخبر اغتيال الأستاذ الجامعي على يد فتى أغر يعمل نجاراً، ودارت الحرب المقدسة مرة ثانية، وانقسم الناس إلى : فريقين متصارعين، وجمهور يشجع .

(٨)

في الفرقة الثالثة كادت صلتي تنقطع بالجماعة وقويت صلتي بالجامعة، عندما قال أستاذ الأدب الشعبي إن عبد الناصر هو أبو زيد هذا العصر، وعصره عصر الأمجاد العربية، وبعد موته ضاعت آمال العرب قمت فناقشته بهدوء .

(٩)

في السنة النهائية عندما سمعت الأستاذ العائد من جامعة كمبردج يصرخ قائلاً :

- إن العلم إله هذا العصر، وأن الغرب ما تقدم إلا بعدما طرح الدين وراء ظهره .

لم أنطق رغم اختلافي مع ما ذكره، فقد كنت معجباً بالأستاذ الذي يتكلم بلسان العلم الذي لا يكذب أبداً، ورغم هذا الإعجاب لم أحصل إلا على درجة متبول في مادته رغم تفوقي فيها .

(١٠)

في الجيش انعزلت عن العالم تماماً بكل قضاياه، وأصبحت آلة تنفذ أوامر لا تعرف الحكمة منها .

كانت سنة جميلة رغم قسوتها ؛ فقد ارتاح عقلي من صراع الأفكار، ونسبية الأحكام .

(١١)

خرجت للحياة وجدت الأستاذ صاحب نظرية العلم آله هذا العصر قد أصبح مسئولاً كبيراً في وزارة الثقافة، وأن رئيس الجماعة

قد قبض عليه مع بعض أفراد الجماعة في محاولة فاشلة لاغتيال وزير الإعلام، وحمدت الله أني كنت في الجيش و إلا...

أخي الأكبر في الخامسة والثلاثين، ولم يعين، ولم يجد عملاً، أخي الأوسط سافر بلد عربي، وأختي الجامعية تزوجت صاحب " ورشة سمكرة " .

(١٢)

في أول حصة لي كمدرس وقفت أنظر إلى هذه الزهور البريئة، أمل الأمة في إحداث نهضة تنزعنا مما نحن فيه من تخبط. وقفت حائراً ماذا أقول لهم ؟!

سكت ؛ بدأ التلاميذ يتكلمون، طالت حيرتي ؛ زاد كلامهم. عجزت عن النطق، وصل صوت شجارهم لمدير المدرسة.

في أول يوم لي في المدرسة تم التحقيق معي بسبب إصابة تلميذين في حصتي .

سألني المحقق : ما قولك في ما هو منسوب إليك من عدم الشرح، وعدم السيطرة على التلاميذ ؛ مما ترتب عليه إصابة تلميذين في حصتك ؟

- ستصدق ما أقوله لك .

- أعدك أن أكتب ما يمكن كتابته .

عندما بدأت أحكي له قصتي اتهمني بتضييع الوقت والخروج عن موضوع التحقيق .

بعد يومين صدرت نشرة بنقلي من المدرسة وإلحاقي بعمل إداري



هذا الزمان



■ (لم تظهر بعد . انا هنا منذ ساعة . لم يغمض لي جفن . ا ليس من الممكن الا تكون قد عادت من السفر ؟.. لا .. لا .. انا متأكد :

أخبرني أخوها بموعد وصولها بنفسه.. ربما لم تزل نائمة.. الساعة الحادية عشرة، أتنام حتى الآن ؟!.. أنسيت أنها مازالت عروساً.. عروس !..عروس !!.. لا أكاد أصدق كأني أحلم حلماً مزعجاً، لم يخطر ببالي يوماً أن تتزوج بغيري، هناء تتزوج بغيري مستحيل.. لا أصدق)

- أتريد كوب شاي ؟

- لا أريد شيئاً، اتركوني بمفردي، لا أحد يزعجني مرة ثانية .

- ما لك ؟!

- أريد أن أجلس بمفردي.. اخرجي، وكفى أسئلة، اخرجي .

خرجت أخته وهي لا تفهم شيئاً، عاد صبري ينظر مرة أخرى .

(لم تخرج بعد.. ربما خرجت وأنت تكلم نبيلة.. اللعنة على كل شيء.. لماذا تعذب نفسك هكذا ؟ إنها إنسانة تافهة، كما أنها ليس جميلة.. لكني أحبها..أحبها، ولا أستطيع نسيانها)

- صباح الخير يا صبري .

- من ؟ حمادة ! صباح الخير (لماذا جاء في هذا الوقت ؟ ليته يذهب)

- متى جئت من الإسماعيلية ؟

- صباح اليوم. (لولا أنه صديقي لشتمته على تطفله هذا)

- وكيف حال العمل في الإسماعيلية ؟

- بخير ، سأزورك قريباً، وأحكِ لك عن كل شيء .

- أنا في انتظارك الليلة .

لم تخرج بعد، لقد تعب من النظر، وبدأ الصداع يغزو رأسه .

(الشباك مازال مغلقاً ترى ماذا تفعل الآن ؟ لابد أنها استيقظت)

- صباح الخير يا صبري .

التفت ناحية الصوت الرقيق .

- صباح الخير يا غادة (غادة، كلما رأيتها أحس أني ظالم، وجبان؛ أحببت عندها الأمل، ثم تخليت عنها.. أنا لم أتخلَ عنها فقط طلبت منها أن تنتظرني عشر سنوات !! لماذا أوهمتها أنك تحبها ؟.. أنا لم أقصد إنما هذا حظها، بعدما خطبت هناء كاد الحزن يقتلني، وكان لابد من التحدث إلى أي إنسان.. ولماذا غادة بالذات ؟ لأني لم أجد أمامي غيرها.. ولماذا لم تصارحها بالحقيقة ؟.. لم أستطع ؛ لأنها كانت قد أحبتني، وتوهمت ساعتها أني أحبها.. وبعد أن أدت المهمة

التي كنتَ تحتاجها فيها تركتها.. أنا لم أتركها، كنت أريد أن أعطي نفسي فرصة كبيرة للتفكير.. بل للهروب.. أنا على استعداد أن أتزوجها.. تقول ذلك بعد أن خطبت، وشعرت أنها ضاعت هي الأخرى منك..دعك من غادة الآن فأنا...)

- لقد أعددت لك الإفطار، هيا يا ابني .

- لا أريد .

- أنت لم تأكل شيئاً منذ الصباح .

- لا أريد طعاماً، أريد أن أجلس بمفردي .

- ماذا حدث يا ابني ؟ منذ عدت من السفر، وأنت تجلس بمفردك، ولا تترك الشباك ! ماذا بك يا ابني ؟ أخبرني، أنا أمك.

- لا تشغلي بالك .

- هل هناك مشاكل في العمل ؟

- أقسم لك يا أمي أنه لا يوجد شيء على الإطلاق، فكل شيء على ما يرام، فقط أريد أن أجلس بمفردي، هل هذا أمر عجيب؟

- كما تريد يا ابني ، وعموماً إذا أردت شيئاً فنادي عليّ أو على أختك .

(أنا دائما أسيء إلى أعز الناس، لماذا أعامل أمي بهذه القسوة؟! هل من أجل هذه النكرة ؟! ليس فيها شيء يستحق الإعجاب.. ومع

ذلك تحبها، وأنت على استعداد أن تدفع عمرك ثمناً لتراها.. اللعنة على الحب الذي يذل الإنسان)

الشباك يفتح ؛ تحجرت عيناه، وخنق قلبه، وجف حلقه .

(هناء..هناء كم أنا مشتاق لرؤيتك ! لم تتغير، آه لو نظرت إليّ نظرة واحدة، إنها تبدو جميلة أكثر مما سبق، ولكن ماذا تصنع ؟ إنها تمسح حبال الغسيل بقطعة قماش مبللة ! ماذا ؟! إنها هند أختها ! يا لحظي التعس، هند !، وأين هناء ؟ أريد أن أراها ولو للحظة، لقد جئت من الإسماعيلية لكي أراها، وحصلت على إجارة لمدة يوم بشق الأنفس)

بدأت هند تنشر الغسيل، وصبري يتأملها .

(لماذا لا تتزوج هند إنها جميلة، ولكي تكون على الأقل بجوار هناء ؟.. أتتزوج فتاة لأنك تحب أختها ؟!.. مستحيل.. حياتك ستصير جحيماً، لقد رأيت فِلْمًا بهذا الشكل، والبطل فيه كان... هاني خارج من البيت لا بد من أن أكلمه لكي أتأكد...)

- هاني.. هاني .

- الأستاذ صبري ، كيف حالك ؟

- الحمد لله، إلى أين أنت ذاهب ؟

- ذاهب ؛ لأشتري بعض الطلبات .

- لمن ؟ (ليته يحدثني عن هناء) .

- طلبات للبيت .

تردد كثيراً قبل أن يقول له :

- هل أختك عادت من السفر ؟

- عادت مع زوجها أمس.. هل أنت في إجازة ؟

- نعم.. وهل سيبقيان عندكم طويلاً ؟

- من ؟

- أختك وزوجها .

- لا سيذهبان إلى شقتهما بعد العصر .

قال هاني هذا وهو يهم بالانصراف .

- انتظر، و أين شقتهما هذه ؟

- في المعادي.. لماذا تسأل هذا السؤال ؟

- لا شيء.. لا شيء، فقط كنت أريد أن أعرف أين وجدا شقة؟

(ترى هل شك هاني في شيء ؟)

عاد ينظر إلى الشباك .

(هناء.. ليست هي إنها هند أختها، هل نسيت ؟)

نشرت هند فساتين جديدة أنيقة .

(هذه فساتين هناء، نعم.. نعم فساتين هناء)

شخص ببصره إلى الفساتين المعلقة من أطرافها وهي تتحرك .

(أحبك يا هناء، أتسمعين أحبك، أحبك، أحبك، حاولت كثيراً التعبير عن حبي لك، ولم أستطع، أتذكرين يوم أن تقابلنا عند الأتوبيس النهري ؟ لم تكن مصادفة، لقد احتلت على هاني حتى عرفت منه أنك تركبين الأتوبيس النهري، وعندما رأيتك تجمدت الكلمات في فمي، ونسيت ما أعددته من عبارات، كتبت لك خطاباً ذات مرة شرحت فيه كل شيء ولم أرسله، مازال الخطاب معي، ليتك تقرئينه، أنا أحبك يا هناء، ولا أستطيع نسيانك)

فوجئ بزوج هناء يطل من الشباك، اضطرب، وخاف، وأحس أنه سمع كل شيء، هم بترك الشباك .

(لا.. لن أهرب من هذا المسخ المشوه ؟ أ هذا من فضلته عليَّ، ليس فيه شيء جميل، من أين جاء هذا الصعلوك بهذه الألوف التي اشتراها بها.. سمعت أنه من أسرة معدمة، وأنه يعمل موظفا صغيراً في الجمارك)

أحس بمرارة في حلقه، وبأن معدته الخاوية تأكل نفسها .

(ستندم على هذا الاختيار طيلة عمرها..هذا الوغد يعيش معها، يكلمها، يسمعها، يقبلها... وأنا لا أستطيع رؤيتها شيء بشع.. بشع) .

كان ينظر إليه في تحد شديد، أخيراً ظهرت هناء، وقفت بجوار زوجها، طوق خصرها بذراعه، وضمها إليه، وأخذا يتهامسان، ويضحكان. أحس بأن أمعاءه تتقطع، وبأن قلبه ينفطر، وبأن رأسه تتهشم، لم يطق النظر إليهما، ترك الشباك، تكوم على أحد الكراسي كالمارد المحبوس في قمقمه، وقعت عيناه على خبر مكتوب في أخبار المجتمع " بالأمس تم زفاف الوجيه... نجل رجل الأعمال المعروف... وتكلف الحفل حوالي نصف مليون جنيه " حطم المارد قمقمه .

(نصف مليون جنيه تكاليف حفل زفاف !!.. نصف مليون جنيه !! وأنا مرتبي لا يكفيني حتى آخر الشهر، هذه اللافتة هي السبب، هي السبب)

وهجم على لافتة معلقة على الجدار، جذبها بشدة ؛ فخرجت في يده ألقاها على الأرض، داسها بقدميه وهو يقول :

- ليس هذا الزمان زمان القناعة، ؛ إنه زمان اللصوص، اللصوص هم الذين يملكون الكنوز التي لا تفنى، اللصوص هم الذين يعيشون فقط، وأنا أريد أن أعيش، أن أعيش .



زمن الطغيان



■ اليوم تحس ان كارثة كبيرة ستقع،
المفروض ان تفرح ؛ فاليوم ستسترد
حريتها ، ستكون كما تحب .

(بلا أوامر.. بلا اعتراضات، سيستريح عقلي من المناقشات العقيمة، والخلافات السخينة.. طوفان التنازلات سيجف نبعه للأبد)

نظرت في ساعتها .

(الساعة تسير ببطيء شديد، ليته يأتي بسرعة ؛ لا أطيق الانتظار، أريد أن انتهي من هذا الموضوع بأسرع وقت)

هبت واقفة، وخرجت مسرعة، وقفت في الشرفة ؛ تحاول التشاغل بأي شيء.. جارتها هالة تسير بصحبة خطيبها ؛ خفق قلبها، أشاحت بوجهها، وتركت الشرفة..جلست في الصالة خشيت أن يراها أحد من إخوتها في هذه الحالة ؛ فيشمتوا بها، ويذكروها بيوم أن قالت : نعم، وقال الجميع : لا .

دخلت حجرتها، وأغلقت الباب، رمت بنفسها على السرير تقلبت في الفراش، وأخيراً استقرت، وقعت عيناها على لوحة الغروب، أشاحت بوجهها عنها، مازالت صورة العاشقين عالقة بذهنها، همت أن تعاود النظر إلى اللوحة، لكنها تراجعت، فكرت أن... وأخيراً قررت أن تلقي عليها نظرة واحدة سريعة .

الشمس بلونها البرتقالي الجميل، البحر الهادئ الملون بلون الشمس، الأمواج الهادئة، الحبيب الحاني ممسك بيد حبيبته الجميلة الحالمة، وعلى الرمال المبللة يسيران، يداعب أقدامها الماء، وتنعشهما نسمة رقيقة، يسيران بأحلام الشباب بلا هدف، بلا تفكير، بلا زحام، بلا هموم)

هذه اللوحة لوحة أسامة، أهداها لها في عيد ميلادها منذ ثلاث سنوات، وعلقها بنفسه في هذا المكان، كلما نظرت إليها ترى أسامة ممسكاً بيدها برفق، ويسيران بلا هدف، بلا تفكير، بلا هموم .

سرت فيها قشعريرة دافئة هزت قلبها، أغمضت عينيها على دمعة ؛ رأت كل الذكريات الجميلة

(رحلة القناطر... أعياد رأس السنة...الهدايا... كبري الجامعة... قصائد الغزل.. الأغاني التي نحبها... يوم الخطبة.. كازينو الشجرة...)

- (هل سيموت كل هذا اليوم ؟ هل سيتحول إلى ذكريات حزينة؟ ألا أرى أسامة مرة أخرى ؟! مستحيل..إني أحبه، أحبه ولا أتصور حياتي بدونه، أسامة بالنسبة لي كل الرجال، كل الحب، كل الحياة)

نظرت إلى ساعتها تكدر وجهها الصبوح، تمنت لو تأخر، أو لا يأتي اليوم .

أذن المغرب ؛ أفاقت، فكرت لو تركت الصلاة لبعض الوقت، أو تتركها للغد ؛ لأنها متعبة، صوت الأذان لم يتركها تحلم، أو تفكر، أو تنام ؛ استعاذت بالله من الشيطان، توضأت .

بعد الصلاة .

(آه لو كان أسامة يصلي، لو كان يسمع الأذان، آه لو لم يولد في زمن الطغيان.. آه لو لم يحترف التجارة.. آه لو كان له وجه واحد، الوجه الذي أراه به.. أحاول معه مرة ثانية ؛ لعلي أنظفه من وحل الأيام.. لكن هل أعود ثانية لإقناعه بأنه ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان ؟ هل أقبل أن ينزع من فوق رأسي غطائي ؟ مناقشاتي معه في هذه المواضيع تذبح حبي.. صبرت لم يتغير.. عاندت لم يتغير.. هددت لم يتغير، لم يتغير.. عنيد، أحياناً أعذره فنحن نعيش في زمن لا يرحم، ومن لا يظلم الناس يُظْلَم)

دق جرس الباب ؛ انتبهت.. فتحت الباب.. أسامة.. تركت الباب مفتوحاً.. دخلت حجرتها.. لم تضئ الحجرة.. تريد الهروب.. جاءت أمها لترى من الطارق .

- أسامة، أهلاً يا ابني .
- عمي موجود ؟
- لحظة واحدة .
- أهلاً يا أسامة .
- أهلاً يا عمي .

- الحقيقة أنني جئت... ماذا حدث بينكما ؟... وما رأيها في ذلك؟... جربا مرة أخرى... الزواج قسمة ونصيب .

لم يذكرها بسوء، بل تكلم عنها كلاماً جميلاً، وأبدى حزنه الشديد على هذا القرار .

بدأ قلبها يخفق مرة أخرى، أضاءت الحجرة، وقعت عيناها على صورة الغروب .

(هل انتهى كل شيء هكذا بسرعة ؟.. أسامة أول حب في حياتي.. أسامة الوحيد الذي سمع أماني وأحلامي.. الوحيد الذي أشعرني أني فتاة لها قلب ينبض بالحب.. هل انتهى كل هذا في لحظة؟!.. مستحيل)

تمنت لو عدل عن رأيه، لو جاء أبوها فسألها عن رأيها.. لو.. لو.. طَرْقٌ خفيف على بابها ؛ فتحت الباب

- أسامة !!!

- هل أنت سعيدة الآن ؟ هل تحققت رغبتك ؟

قال أسامة هذا بصوت خفيض حزين، أما هي فقد ارتمت في حضنه دون أن تشعر، وبكت ، وعلا نحيبها، رفع وجهها ؛ صارت عيناها في عينيه، دموعه تراها لأول مرة ؛ قالت بصوت متهدج مخلوط بدموع، وابتسامات :

- آه لو لم تولد في زمن الطغيان !



الأسئلة الحيرى



■ ارتدى ملابسه بسرعة كعادته ؛ ليغادر هذا المكان، لكنها لم تنته بعد من ارتداء ملابسها ، ترتديها بكل هدوء كأنها في بيتها ، وأمام زوجها ، في كل مرة يلتقي بها يلح عليه سؤال يريد مواجهتها به، سؤال يغزو عقله عندما يبدأ في ارتداء ملابسه، ويهم بالخروج .

(يجب أن أسألها هذا السؤال اليوم مهما كانت النتيجة)

انتهت من ارتداء ملابسها الجميلة المنسقة، وقفت أمام المرآة ترجل شعرها .

(لماذا تفعل هذا ؟ إنها جميلة، وأنيقة. إن من يراها لا يظن بها السوء أبداً، أنا نفسي عندما أراها مع زوجها لا أصدق أنها هي التي... فلماذا تفعل هذا ؟! إن زوجها رجل ناجح ميسور الحال، ما الذي يجعلها ترتمي في أحضان واحد مثلي، أكاد أجن لكن اليوم لابد أن أسألها مهما كلفني السؤال.. ماذا يمكن أن تفعل ؟ تهجرني، فلتهجر ؛ لقد مللت هذه اللقاءات، أحس أني فحل مستأجر) .

رأته في المرآة يحدق فيها، استدارت وقالت له باسمة :

- لماذا تنظر إليّ هكذا ؟

- أريد أن أسألك سؤالاً يلح عليَّ منذ عرفتك، وأتمنى أن أسمع جوابه منك .

- ما هو ؟

- أريد أن أسألك لماذا تفعلين هذا ؟

سكتت، تَغَيَّر وجهها، جذبته من يده، وقالت وهي تتكلف الابتسام :

- هيا بنا هيا ؛ لقد تأخرنا .

أخرجت من حقيبتها مبلغاً كبيراً من المال، ودسته في يده، وهي تقول باستعطاف :

- أرجوك لا تكسف يدي .

- لا .. لا .. أنا لا أريد، أنا معي نقود...

- أنا أعرف أنك لم تعمل بعد، وأنا وأنت شيء واحد .

وضعت النقود في جيبه، وقالت وهي تغادر الشقة :

- أنا سأنزل أولاً، ثم تنزل أنت بعد خمس دقائق .

وبسرعة خرجت، وأغلقت الباب وراءها برفق حتى لا يسمع أحد الجيران .

أحس أنه أخجلها، وأحرجها .. لكن السؤال مازال يسيطر عليه، ويعجز عن معرفة إجابته .

(لو كانت قبيحة، أو فقيرة لكان لها عذر، لو كانت تحتاج لنقود لجاز لها أن تفعل هذا، إنما هي التي تعطيني نقوداً وتصر على ذلك كأنها تخشى أن تفقدني)

عاد بذاكرته يوم أن رآها من شرفة أحد أصدقائه، وتجاذب معها أطراف الحديث، لم يكن يتوقع أن العلاقة بينهما ستبلغ هذا الحد، بعد ذلك قابلته في الطريق طلبت منه اصطحابها إلى بيتها، لأنها تخشى الظلام والكلاب، سار معها، أقسمت عليه أن يصعد ليستريح، ويتناول معها الشاي، شعر بالحرج صعد، ولم يكد يفرغ من احتساء الشاي حتى تحولت المرأة الوقور الأنيقة إلى زليخا في مشهد المراودة، أذهلته المفاجأة، همَّت به، وهمَّ بها، ولم ير برهان ربه فلم يكن صدِّيقاً، إنما كان شاباً محروماً من كل شيء .

في البداية أحس بالنخر، لكن بعد ذلك بدأ ضميره المُخدَّر يفيق: قرر ألا يعود إليها مرة ثانية، لكن أزياء الفتيات في الطرقات، وعري النساء في الأفلام والمسرحيات، وخلاعة الغواني في الإعلانات، واستحالة الزواج في هذه السنوات ؛ قادوه إلي المهلكات، منذ تخرج وهو لا يعمل شيئا سوى المشاهدة، وشبح البطالة يطارده، والفراغ قاتل .

(أنا لي عذري فما عذرها هي، إن كانت لا تحب زوجها فلماذا تزوجته ؟!، وإن كانت تكرهه فلماذا لم تطلب الطلاق ؟ وإن كان عاجزاً. فكيف أنجبت منه سامي، وسالي ؟! أم أنهما ليسا من صلبه !

أنا لا أستطيع أن أفهم هذه المرأة الجميلة الفاتنة التي تتحول في لحظة إلى بغي تحترف البغاء .

توهمت يوماً أنها تحبني ؛ فحاولت أن أبثها حديث المشاعر، والآهات ؛ لكنها غمرتني بالقبلات فضاعت الكلمات.. إذن هي لا تحبني، لم تحدثني عن هذا قط، آه لو تكشف لي عن عقلها كما كشفت لي عن جسدها) .



من يضع لقصتي نهاية؟



■ كنت احلم بمستقبل عريض، كنت احكي تفاصيله لجيهان في حديقة الجامعة، كان يعجبني جمالها، وكان يعجبها كلامي.

تخرجنا وانتظرت التعيين، وانتظرتني، وفشلت في الحصول على عمل، وفشلت في إقناع أهلها بالانتظار، يوم زفافها كتبت قصة لعنت فيها كل شيء، وعبثت فيها بكل المقدسات، وابتلعت شريط حبوب دواء، وأنقذت في آخر لحظة، عرض عليّ أحد أقاربنا العمل كحارس أمن في أحد البنوك فقبلت على الفور على الرغم من أني خريج كلية الحقوق !! بعد أسبوع من العمل عدت أقرأ القصة أمام أحمد صديقي فلم أستطع إكمالها، وهممت بتمزيقها لكن أحمد أنقذها من يدي، نسيت هذه القصة، ونسيت هذه الحكاية، فوجئت صباح اليوم وأنا أقرأ أسماء الفائزين بجائزة القصة بأن اسمي ليس من العشرة الأوائل الفائزين، تضايقت جدا فقد كنت أعلق الآمال على عشرة الآلاف جنيه قيمة الجائزة لأكمل ثمن شقة في البيت الذي يبنى على ناصية حارتنا، لاحظت أن الفائز الأول يشبه اسم صديق لي، بعد أسبوع نشرت المجلة القصص الفائزة، وأنا ألعق مرارة الهزيمة رحت أقرأ القصة الفائزة لم أكد أتم الجملة الأولى حتى فوجئت بأنها قصتي التي... إذن الاسم صحيح، لكن أنا صاحب

القصة الحقيقي.. لكنك لم تعترف بها، وكدت تمزقها.. لم أمزقها.. هو الذي أنقذها من يدك.. لكنها قصتي أنا، قصتي أنا.. لكنك كتبتها في لحظة ضعف.. لكنها الآن تمنحني القوة.. إنها تعبث بالمقدسات.. مِن الكفر أن أترك عشرة الآلاف جنيه.. لقد أنكرتها، وتبرأت منها.. لم أكن أعرف أنها ستكون سبب شهرتي وغناي.. هل تستطيع أن تجهر بهذا.. أنا فخور بهذا.. وابنتك عندما تقرأها.. ابنتي لن تولد إلا إذا لم اعترفت بها.. أ تعترف بالخطيئة.. ماذا كسبت من الطهر ؟! لقد أسلمني للخطيئة.. هناك مشكلة، كيف تثبت حق تأليفها إن أنكر صديقك.. أقسم لهم أني صاحبها.. وبم تقسم ؟.. أقسم لهم بالله.. الذي أنكرته.. أنا مؤمن.. وكيف تريد أن تعترف بالقصة ؟!.......



حكاية جدتي



■ في ليلة من ليالي الصيف كان الاطفال - كعادتهم - يجلسون امام التليفزيون. وفجاة انقطع التيار الكهربائي ، تصايح الاطفال. وبكى اصغرهم. نادت الجدة على اكبرهم فاحضر شمعة. وبينما الاطفال يجلسون ملتصقين بالجدة إذا باحدهم يقول :

- احكي لنا حكاية يا جدتي .

وهلل الأطفال لهذه الفكرة، سكتت الجدة لكن الأطفال لم يسكتوا، وألحوا عليها أن تحكي لهم حكاية :

- احكي لنا قصة الشاطر حسن .

- لا قصة ست الحسن .

- لا.. لا.. قصة السندباد .

- احكي لنا، احكي لنا أي حكاية .

احتارت الجدة ؛ إنها لا تعرف أياً من هذه الحكايات، فهي لم تولد في زمن الحكايات، إنما ولدت في عصر الذَّرة والصاروخ

سكتت.. لم يتوقف الأطفال عن صياحهم، وبكى الصغير، وتوسل الكبير، طلبت منهم السكوت ؛ لكي تحكي ؛ فسكتوا كأن على رءوسهم الطير .

- كان يا ما كان - يا سعد يا إكرام - يوجد طفلان في مثل سنكم: ولد، وبنت. الولد اسمه أشرف، والبنت اسمها.. اسمها.. اسمها صباح، كانا طفلين جميلين مثل زهرتين متفتحتين، كانا يلعبان معاً، ويضحكان معاً، وكان الولد رقيقاً في لعبه، هادئاً في طبعه، وكانت البنت تحبه كثيراً.

كبر الطفلان، وكبر حبهما، ودخلا الجامعة، وعاشا أجمل سنوات عمريهما، وفجأة مات أبوه، وكان أكبر إخوته، ولم يكن لأبيه معاش، بدأ أشرف يعمل؛ ليعول أسرته، وبدأ يرسب في الكلية، تخرجت صفاء..

- صفاء من؟

- أقصد صباح، وتقدم لها الخطّاب، وأخيراً تزوجت واحداً منهم، وهي التي لم تحلم بالزواج إلا من أشرف.

وككل الكائنات الحية عاشت، تأكل، وتشرب، وتنجب.

ذات مرة كانت في زيارة لأمها المريضة رأته يسير أشيب الشعر، شاحب الوجه، ممزق الثياب، لم تصدق ما ترى أين العينان الصافيتان، والبسمة العذبة، والملابس الأنيقة؟!

وقفت لا تدري ماذا تصنع، وعندما رآها نكس رأسه، وسار في طريقه، كان يحمل صفاً من الخبز، وأكياساً من الخضراوات.

عندما دخلت البيت كانت تمسك بمنديلها الوردي الصغير، وتمسح دمعة أسى، ظن الجميع أنها تبكي من أجل أمها المريضة.

وهنا أخرجت الجدة منديلها الوردي الصغير، ومسحت دمعة سقطت رغماً عنها، وسكتت عن الكلام، والأطفال في انتظار النهاية السعيدة، انتظروا، وانتظروا، وأخيراً قالوا :

- وماذا بعد يا جدتي ؟

- الحكاية انتهت .

- لا أنت تضحكين علينا، ماذا حدث للرجل الذي مات أبوه، وكان يحب البنت الحلوة ؟

ضحكت الجدة وقالت :

- الرجل لا يعلم أمره إلا الله، والبنت ظلت تأكل، وتشرب، وتنجب أطفالاً أشقياء مثلكم، ويكبر الأولاد، ويسعد من يسعد، ويشقى من يشقى، وأخيراً يتزوجون، وينجبون أطفالاً صغاراً يطلبون من جدتهم أن تحكي لهم حكايات .

وتوتة، توتة، انتهت الحدوتة .

صاح طفل شقي :

- حدوتة " بايخة " .



الزواج على الطريقة القديمة



■ بعد عشر سنوات من العمل الدءوب
؛ استطعت أن أحصل على شقة ،
وأن أثثها أثاثاً جميلاً .

قالوا : تزوج ؛ فليس لديك ما يمنع .

هاجت ذكريات الصبا، وتذكرتها، أين هي الآن ؟ ثلاثة عشر عاماً مضت على آخر لقاء بيننا " أمل " حلم الصبا والشباب الوحيدة التي فكرت في الزواج منها ؛ الوحيدة التي كانت تفهمني.

قالوا : تزوج .

بحثت عن أمل فلم أجدها.

قالوا : تزوج .

بحث عمن تشبهها فلم أجد .

قالوا : تزوج .

بحثت عمن تفهمني فلم أجد .

قالوا : تزوج .

عرضوا عليَّ صوراً لفتيات ؛ رفضت الزواج بهذه الطريقة، فالزواج اختيار حر، الزواج اختيار صعب .

رأيتها في النادي تلعب التنس.. ثوبها الأبيض القصير جميل، رشاقتها وخفتها غزال صغير. لا أنكر أني أعجبت بها ؛ فأنا أهوى

الجمال في النساء، والرشاقة في بنات حواء، وكالمراهقين بدأت أهتم بشعري، وهندامي، وفي حفل النادي ألقيت قصيدة من قصائدي القديمة، وأنا أنظر إليها، كنت منفعلاً جداً وأنا أقرأها كدت أبكي ؛ ضاع صوتي وسط الصخب، وانشغل عني الجميع بالغناء والرقص. لم يعد هذا زماني، أذكر عندما ألقيت قصيدتي هذه أول مرة في الجامعة، تورمت الأيدي من التصفيق، والتفت الحسان حولي يسألوني عن صاحبة القصيدة، كانت أمل تجلس في وقار كعادتها، وابتسمتُ ونظرتُ إليها، وغيرتُ الموضوع، عدت إلى البيت سعيداً، وسمعت أغنية " حبيبتي من تكون " .

أما اليوم فأنا مجهول، وصاحبة القصيدة أضاعتها الأيام .

قالوا : تزوج .

قلت : زوجوني ؛ فأنا عجزت عن الاختيار .

- زينب ابنة عمك .

- إنها أختي هكذا أراها .

- وابنة خالك .

- صغيرة .

- وماذا تقول في جيهان جارتنا .

- رأيتها بصحبة شاب الأسبوع الماضي يسيران على الكورنيش في ساعة متأخرة، خبّأت وجهها عندما رأتني .

- ما رأيك في... ،...،...

وأخيراً تزوجت زينب ابنة عمي، هي فتاة طيبة ، تجيد الطهي، وأعمال المنزل، تحسن الصمت، هي الآن تجلس أمامي تعد طبق السلطة وتنظر إليَّ، وأنا أسطر هذا المقال لجريدة " الرأي الآخر " رداً على مقال رئيس التحرير عن الزواج، زوجتي العزيزة تحسبني الآن أعد دروس الغد، أليست طيبة ؟ إن عقلها أصفى من اللبن الحليب، وعجز أرسطو وسقراط عن تعكير صفائه، وتاه ابن بطوطة في طريقه إليه، أما ما بين فرانكشتين وأينشتين فمسألة نسبية، وابن خلدون لا يوجد في مقدمة رأسها ولا في مؤخرته ، أما أبو نواس فلا تعرف عنه إلا أنه اسم شاي.

أليست طيبة ؟



فتاة مثلك



■ إيمان !! معقول .

- هشام !!

- اخيراً يا إيمان التقينا ، اخيراً أنا وانت في مكان واحد ، هذا حلم .

- كيف حالك يا هشام ؟

- تعالي.. تعالي نجلس في مكان لا يسمعنا فيه أحد، تعالي.. طوفان الكلام كسر كل السدود، يااه يا إيمان.. معقول أننا نسير سوياً جنباً إلى جنب، أراك، تسمعيني.. آه.. تسمعيني.. تسمعيني بعدما قتلني تجاهلك .

- الحقيقة أني .

- أرجوك أنا أريد اليوم أن أتكلم، وأتكلم، وتسمعيني ؛ كانت أمنيتي أن أسمعكِ كلاما كثيرا قتله صمتي، لم يكن ليسمعه غيرك، أحلام، أفكار، كانت أمنية عمري أن تسمعيها، أن تعيشيها معي، أرجوك لا تضيعي عليّ هذه الفرصة، فأنا لا أملك أن تتكرر ثانية .

جلسا، أخذ ينظر إ ليها، يتفحص كل شيء فيها .

- ما لك تنظر ليَّ هكذا ؟!

- أتدرين أني لأول مرة أراك من قرب، المرة الأولى التي أرى لون عينيك، أرى تفاصيل وجهك ؛ أحببتك من بعيد، وعندما

اقتربتُ منك ابتعدتِ ؛ فدعيني أراك من قرب، دعيني أنظر إليك، دعيني أرتوي منك ؛ فأنا الظمآن الذي طال به الظمأ، واستبد به العطش.. يحيرني سؤال أعيتني إجابته، آه لو تدرين ماذا صنع بي.. لماذا لم تسمعيني من قبل ؟ لماذا حُلْتِ بيني وبين أن أحياك ؟ سؤال حيرتني إجابته سنين عدداً، سؤال كاد يصيبني بالجنون، تمنيت يوماً لو بعت عمري ؛ واشتريت إجابته، لماذا رغم حبك لي لم تسمعيني ؟

- الحقيقة أني...

- أرجوك أنا لا أريد الإجابة الآن .

- أرجوك أعطني الفرصة للدفاع...

- أنت لست متهمة، وأنا لست قاضياً، أنا عاشق قديم عندما رآك اليوم هاجت ذكرياته، وبعثت الكلمات التي دفنت في حلقه، يا إيمان أنا لا ألومك على شيء إنما أحكي لك ما يدور بداخلي، ولا أستطيع أن أقوله لسواك، ويكفيني أن تسمعيه، فأنت الوحيدة التي أحببتها، هل تتصوري هذا ؟!! رغم هذه السنين الطويلة لم أحب بعدك، ليس لأني ما زلت أحبك، وإنما لأن حبك كان نقطة ضعفي الوحيدة فقررت بعد أن تخلصت منها ألا أعود لمثلها أبداً؛ تَحَكَّمْتُ في قلبي، قسوت عليه ؛ حتى لا أموت مرتين، رغم أني قابلت من الفتيات، والنساء الكثير، ومنهن من أحببنني، لكني كنت دائماً أتذكر ما صنعتيه بي ؛ فأشمخ بأنفي، وأصعر خدي، وأسير في طريقي تماماً كما كنت تفعلين معي !

- أنا.. أنا...

- لا عليك .

- أرجوك اسمعني أرجوك...

- قالوا عني : عدو النساء مع أني يوماً أحببت إحداهن حباً لم تره كل النساء، قالوا عني : رجل بلا قلب، وأنا الذي كنت أنتظرك ساعتين في الصباح في الحر الشديد، وساعتين في المساء في البرد البليد ؛ لأراك لثوان معدودة من بعيد، قالوا.. وقالوا.. وتمنوا أن يروكِ.. يرون الفتاة التي من الممكن أن أكون قد أحببتها يوماً أو الفتاة التي من الممكن أن أُحِبُها. أنا سعيد أن أقابلك اليوم بعد هذه السنين، لقد ذكرتني بأيام الصبا، وأعدتني لأحلام الشباب، ذكرتني بالبراءة، والسذاجة قبل أن يمتلئ عقلي بالأفكار، وتكل قدمي من الأسفار.. كم كنت أحبك!.. كم كتبت فيك من الأشعار، مازلت أحتفظ بالأوراق حتى الآن، وأعود لأقرأها من آنٍ لآن، كم كنت أحبك، وكم أتمنى أن أتزوج فتاة مثلك.. فتاة مثلك، وليست أنت ! فتاة مثلك لأني أحبك، وليست أنت ؛ لأني أرى فيك ضعفي الذي لم أعرفه إلا عندما أحببتك، كم أتمنى أن أتزوج فتاة مثلك لها عينان مثل عينيك، لكنهما ليستا عينيك، عينان مملوءتان بالحب، والشوق، والوفاء، وليستا مملوءتين بالهجر، والصدّ، والجفاء، كم أتمنى أن أتزوج فتاة مثلك لها ثغر صغير كثغرك، لكن ليس ثغرك، ثغر أسمع

منه كلمة أحبك التي لم أسمعها منك، فتاة مثلك لها أذنان جميلتان كأذنيك لكنهما ليستا أذنيك، أذنان تصغيان لكلامي، وأحلامي، وتطربها أشعاري، وليستا أذنيك اللتين لم تصغيا لكلمة واحدة من كلامي، فتاة مثلك أجوب بها الأحياء العتيقة في ليالي رمضان، وأجلس معها تحت المظلة في الصيف نلاحظ الأطفال تلعب على الشاطئ، وأحكي لها عن طفولتي وصبايا حتى الغروب، نسمع فيروز تشدو " أعطني الناي وغني ".. كنت أحلم أن تشاركيني هذه الأحلام لكنك هجرت.. حاولت أن أعوض فشلي معك بالنجاح في عملي، ونجحت، ونجحت، كان شبح الفشل يلهب ظهري، يذكرني بالشمس التي أحرقت وجهي وأنا أنتظر مرروك دون أن تدري، يذكرني بالدموع التي روَّت وسائدي...

أنا أعترف لك الآن بسر لا يعلمه أحد وهو أنك السبب في نجاحي، والسبب في عدم استمتاعي به. يا إيمان أمنيتي أن أتزوج فتاة مثلك لم تر ضعفي الذي لم يره غيرك، فتاة مثلك تجعلني أنساك، فتاة لا تغضب عندما أحدثها عنك، و لا تتكبر عندما أبكي أمامها .

قد يبدو كلامي غريبا متناقضا، هراء، لكنه هو الحقيقة التي أحسها، والتي أعيش على أمل أن تتحقق يوما ما .



الصرخة المكبوتة



■ كانت الساعة التاسعة عندما كان
عبد العزيز يركب عربته الخشبية التي
يجرها " عنتر " حماره، وشريك أحزانه،
كان عبد العزيز يحمل هموماً لا تنتهي،
وكان عنتر يحمله ويحمل غيره،

في هذا اليوم كان يحمـل جهـاز عـروس، وهـو الـذي لم يعـرف الفرح طريقاً لقلبه، مـات أبـوه، واجتمعـت الأسرة للتـشاور فـيمن يعولها، اتجهت الأنظار إلى الأخ الأكبر

- أنا.. لا.. لا..؛ إن أمامي عاماً واحداً لأنهي دراستي .

- أنا في الثانوية العامة، وأنتم تعرفون ما هي الثانوية العامة .

الأم : كفى.. كفى، لن يترك أحدكم دراسته، أنا الذي سأعمل، لقد اتفقت مع أم محمد جارتنا أن أعمل معها في المستشفى التي تعمل فيها .

سكت الجميع كأنهم استحسنوا الفكرة، لكن صوتاً صغيراً قطع هذا السكوت .

أنا أستطيع أن أعمل مكان أبي على العربة .

نهرته الأم وأمرتـه أن يـذهب ليكمـل واجبـه المـدرسي، ويـترك الكلام للكبار .

قال الأخ الأكبر :

ولم لا إنه الوحيد الذي كان يساعد أبي .

الأم : مستحيل إنه مازال صغيراً هذا لن يكون أبداً .

الأخ الوسط : والله فكرة بعمل على عربة أبي إلى أن ينهي عامر دراسته .

الأم : ودراسته، ومدرسته .

عبد العزيز : أنا لا أحب الدراسة، ولا المدرسة، أرجوك يا أمي، أرجوك .

أجهشت الأم بالبكاء، وزال الهم الذي كان مرسوماً على وجوه الإخوة .

تخرج عامر، وتزوج، وترك البيت، وتخرج سيد، وسافر إلى بلد عربي، وانقطعت أخباره، وخطبت سعاد وتحمل عبد العزيز هم تجهيزها .

- خذ حذرك .

- انتبه، انتبه .

- السيارة، السيارة .

كانت هناك سيارة فارهة تنحرف باتجاه عربة عبد العزيز، حاول أن يتفادى السيارة دون جدوى ؛ فقد كانت السيارة أسرع منه،

صدمت السيارة الحمار.. سقط الحمار.. أسرع عبد العزيز إلى حماره يهزه.. يحاول أن يستنهضه.. يحاول، ويحاول.. يصرخ، ويصرخ، دون جدوى.. مات الحمار، مات رفيق الكفاح .

نزل صاحب السيارة وأخذ يسب، ويلعن :

- كيف تسير بهذه العربة وسط السيارات السريعة .

وأمسك الرجل بتلابيب عبد العزيز وأقسم أنه لن يتركه إلا في قسم الشرطة، فحماره قد خدش السيارة، فض الناس الاشتباك، واسترحموا الرجل، واستعطفوه، وأقسموا عليه بابنه الصغير أن يترك البائس اليتيم، وأخيراً أخيراً وافق الرجل، وركب سيارته، وانطلق، وعبد العزيز لا ينطق، ولا يرفع عينيه عن الحمار .

أقسم أحد المارة أن الذي كان يقود السيارة هو الولد الصغير .

ضرب الناس كفاً بكف، ولكنهم سرعان ما انفضوا خوفاً من السيارات المسرعة، مات الحمار، وفي حلقه صرخة مكبوتة، لم تخرج وربما صرخ، ولم يسمعها أحد .



ليتها قلبت الصفحة



■ صعد الاتوبيس، وقف بجانب احد المقاعد، كانت هناك فتاتان لم ير إلا إحداهما، اخذت منه ما كان في يده: كتابين، وكراسة المحاضرات. قرأت عنواني الكتابين أكثر من مرة.

- أتسمح لي بالتصفح ؟
- تفضلي، تفضلي.

(هذه أول مرة يحدث معي هذا ولا أدري لماذا سمحت لها بهذا؟)

أخذ يتابع حركاتها، وهمساتها، قلبت صفحات الكتابين على عجل، وتهامست مع زميلتها، ثم أمسكت بكراسة المحاضرات، انقبض قلبه.

(في الكراسة ما لم أطلعه على أحد)

فكر في أن يأخذ كتبه منها، ويترك الأتوبيس.

(لكن المسافة مازالت طويلة، وكيف لي بأتوبيس آخر في هذا الوقت ؟)

أخذت تقلب صفحات الكراسة، وقلبه يرجف بالخوف، توقفت عن التقليب، أطالت النظر في إحدى الصفحات.

(ترى ما هذهِ الصفحة ؟ من ابتسامتها عرفت أنها الصفحة التي بها إحدى قصائدي، هذه أول مرة تقرأ لي فتاة شيئاً من أشعاري، فقدت الأمل في الشعر، وتحطمت أحلامي في أن أكون شاعراً معروفاً، يشير إليه الناس بالبنان، ويردد المثقفون أشعاره، تكدست أدراجي بالشعر، ولا أحد يعلم به، ولا بي حتى من كنت أكتب لها، وفيها، أذكر أني اعترضت طريقها يوماً لأسمعها أشعاري، أو حتى قصيدة واحدة، أو حتى بيت واحد، لم تلتفت إليّ، وسارت في طريقها، وكانت هذه آخر قصيدة كتبتها فيها، ويشاء القدر أن تقرأها فتاة أخرى، لم تنته بعد من قراءتها، من المؤكد أنها ذكرتها بحبيبها، وربما كان هو الآخر شاعراً، وها هي تقيم موازنة غير متكافئة بيني وبينه..)

رفعت عينيها برفق، وهمست بصوت عذب :

- هل أنت في كلية الآداب ؟

- نعم، نعم .

عادت إلى القصيدة مرة أخرى .

(لاشك أنها أعجبت بالقصيدة، وتسأل لمعرفة ما إذا كنت دارساً للشعر أم أكتبه بالموهبة فقط، سؤال ذكي، ما أروع أن تكون الفتاة جميلة، وذكية، كم هي جميلة تلك اللحظات، قلبي يرقص فرحاً، بل يدق بعنف، أخشى أن تسمع دقاته، ليتها تعرف أن

أحلامي تجسدت فيها، ليتهـا تعـرف أن الإنـسان الـذي ظـل حياتـه يسبح في المحيط المتجمد ها هي الشمس تشرق عليه ؛ لتدب الحياة في جسده، ويسري الدفء في قلبه)

عادت تقول بصوت يفيض رقة، ونعومة :

- قصيدة رائعة حقاً .

تملكه إحساس عجيب، وتمنى

(لو ضممت صدرها الريان لصدري الظامئ)

تعليقها العام لا يكفيه يريد أن يسمع المزيد من الإطراء على كـل بيت فيها .

ماذا أعجبك فيها ؟

كلها رائعة، وإن كان المقطع الأخير أكثر روعة وجمالاً

تعنين المقطع الذي يقول : " كنت لليلي شهابا... وكنت لكأسي شرابا "

قالت وهي تغالب الضحك :

شرابا ! ما هذا الكلام ، ما علاقة الشراب بالشعر !

هذا هو البيت الأول من المقطع الأخير .

عن أي شيء تتحدث، أنا أحدثك عن قصيدة " أنـا وعينـاك " لفاروق جويدة المدونة في كراستك .

اختنقت الفرحة الوليدة، وأطبق شفتيه ؛ ليطحن البسمة الوحيدة، وعاد الجسد الملتهب ليسبح مرة ثانية في المحيط المتجمد، أما هي فعادت تقول، وقد استسلمت للضحك :

- ما هي حكاية الشراب هذه ؟

لا يدري ماذا يقول بعدما حشت فمه برمال اليأس، وقطعت لسانه بسكين الإحباط، وأصابت قلبه بسكتة المفاجأة .

عندما أفاق جذب أشياءه منها، وغادر الأتوبيس بسرعة.



كتب للمؤلف

(أ) كتب مطبوعة

١ - ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢ - الدين والسياسة والنبوءة .   دار الكتاب العربي

سلسلة كتب دروس سياسية من التجربة الناصرية

١ - آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة .   دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢ - العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو ——————

٣ - إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي ——————

٤ - نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي ——————

٥ - أمريكا وعبد الناصر من التحالف للعقاب ——————

٦ - هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية ——————

سلسلة نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١ - اليهود والصليبيون الجدد .   دار الإبداع للصحافة والنشر

٢ - اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) ——————

٣ - هذه استراتيجيتهم، فماذا نحن فاعلون ؟ ——————

٤ - إسرائيل وحزب الله ولبنان، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن ——————

٥ - فتح وحماس، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة ——————

٦- اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية ــــــــــــ

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون . (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون . (قصص قصيرة) ــــــــــــ

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) ــــــــــــ

(ب) كتب تحت الطبع

١- دروس سياسية من ثورة يوليو لثورة يناير

٢- الخلاص الإلهي في آخر الزمان بين الدين والسياسة .

٣- الطبيعة العربية والصهيونية، الزعامات المزعومة والسياسات المدروسة .

٤- معجزة إسرائيلية أم خيبة عربية .

٥- رؤية إسلامية للحضارة المصرية القديمة .

- يؤمن المؤلف بأنه لن يُجدِّد شباب الأمة العربية والإسلامية إلا الإيمان الصادق، والفكر المستنير، والعمل المخلص، وفقه الواقع، وأنه ليس أضر عليها من النفاق، وجمود الفكر، والتواكل، والجهل بالواقع .

التليفون المحمول : ٠١٢٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***

محتوى الكتاب

رقم الإيداع

٢٠١١ / ١٤٢٣٢